بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلامُ الأتمّانِ الأكملانِ على النَّبيِّ محمدٍ (ﷺ) وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد...

فقد جاء ذكر السماء في آياتٍ عديدةٍ تخبرنا عن ماهيتها وتكوينها، وقوّتها، وما تحتويه، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧]، وقال تعالى: ﴿ أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ﴾ [ق:٦]، وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَا ﴾[الرعد:٢]، وقال تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ سَقۡفٗا مَّحۡفُوظٗا ﴾ [الأنبياء:٣٢]، وقال تعالى: ﴿ أَوۡ نُسۡقِطۡ عَلَيۡهِمۡ كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[سبأ:٩]، وقال تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡحُبُكِ ﴾ [الذاريات:٧]، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ﴾[الملك:٣]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأعراف:٤٠] وقال تعالى: ﴿ وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ﴾ [الحجر:١٤]، وقال تعالى : ﴿ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكَ إِعۡرَاضُهُمۡ فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمٗا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الأنعام:٣٥] ، وقال تعالى : ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدۡنَٰهَا مُلِئَتۡ حَرَسٗا شَدِيدٗا وَشُهُبٗا ﴾[الجن:٨].

فهذه الآيات وغيرها، تخبرنا أنّ السماءَ سبعٌ طباقٌ، مبنيّةٌ بناءً محكماً، وبَانِيها سبحانه القادر المقتدر المقدر، وهي قِطعٌ، وكلُّ قِطعةٍ منسوجةٌ نسجاً محكماً ومَحْبُوكةٌ حَبكاً، ليس فيها فطور، ولا فروج، لأنّها سقف محفوظ، خالٍ من كلِّ عيبٍ، وهي مرفوعةٌ بغير عمد، فيها سُلّمٌ (أو سَلَالِمٌ) يَعرج منه إلى أبوابها، التي لا تفتح إلا بإذن الله، عليها حرسٌ شِدادٌ لا يعصون الله ما أمرهم، هذه هي السماء – الآن – التي نشاهدها، ويبحث فيها الباحثون.

لكن السماء في يوم القيامة تستجيب وتُطيع أمر ربِّها قال تعالى: ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾[الانشقاق:٢]، كما يستجيب الكونُ كلُّهُ فتضطرب نظمُهُ وموازينُهُ التي وضعها سبحانه في يوم القيامة.

ففي هذا اليوم تحدُث أهوال وأحوال على الكون، فمنها ما يخصُّ: السماء، والأرض، والجبال، والقمر، والشمس، والنجوم، والإنسان... إلخ.

هدف البحث ومنهجه:

في هذا البحث سأُركز على حالة واحدةٍ من الأحوال التي ستحدث يوم القيامة، ألَا وهي نهاية السماء، وما هي الحالات التي ستطرأُ عليها وقت ذاك في ضوء المنظور القرآني.

لذا سيكون هدف عملي هو بيان أحوال نهاية السماء مرحلة مرحلة، ورسم صورة نهايتها من خلال حقائق القرآن، وأن أجعل من التكامل السياقي لآيات نهاية السماء، وترتيبها ترتيباً مقصوداً، طريقاً يُرشدنا إلى معرفة الصورة المتكاملة لها يوم القيامة؛ وذلك على وفق التفسير العلميّ[١].

أهمية البحث وفائدته تكمن في:

- استخراج ترتيب مراحل نهاية السماء، من أوّل حالاتها إلى آخرها، والتي جاءت في آيات متفرقةٍ من القرآن، وُضِعَتْ كلُّ واحدةٍ فيها في سورة انسجمت هذه الحالة الواحدة مع أغراض تلك السورة ومحاورها وأهدافها.
- الانتقال بالتفسير العلمي الموجود في القرآن الكريم إلى الإعجاز العلمي، ومن أسلوب المطابقة إلى أسلوب التطبيق[٢] الذي يجعل الرّيادة والسبق للقرآن الكريم أوّلاً وآخرَ.

تقسيمات البحث:

قسمت البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة.

التمهيد: أفردته للتعريف بالتكامل السياقي.

المبحث الأول: عنونته بـ (بين يدي آيات نهاية السماء) وتضمن المطالب الآتية:

المطلب الأول: جمعت آيات نهاية السماء على وفق ترتيب المصحف.

المطلب الثاني: بيّنت المكي والمدني منها، ورتبتُها على وفق ترتيب نزولها.

المطلب الثالث: حددت ترتيب الآيات لنهاية السماء بحسب مراحلها وحالاتها.

المطلب الرابع: بيّنت المعنى العام الجامع المشترك بين الآيات.

المبحث الثاني: خصصتُهُ لمراحل نهاية السماء، وقسمت مطالبه على مراحل نهاية السماء، فأفردتُ لكل حالة مطلباً وهي كما يلي:

المطلب الأول: الحالة الأولى [انفطارها]

المطلب الثاني: الحالة الثانية: [كشطها]

المطلب الثالث: الحالة الثالث: [انفراجها]

المطلب الرابع: الحالة الرابعة: [انشقاقها]

المطلب الخامس: الحالة الخامسة: [طيّها]

المطلب السادس: الحالة السادسة: [مورها]

المطلب السابع: الحالة السابعة: [كائنة كالمهل]

المطلب الثامن: الحالة الثامنة: [انفتاحها كائنة كالأبواب]

الخاتمة: فقد ذكرت أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

وختاماً فلا أدعي أنّني أصبت في كل ما كتبت، وإنّما هي محاولة أضعها بين يديْ أهلِ الاختصاص؛ لإظهار التفسير العلمي المكنون في آيات القرآن الكريم، فإن أخطأت فذلك من صفات النفس البشرية، إذ لا كمال إلّا لله، وإن أصبت فذلك بتوفيق الله سبحانه. والحمد لله رب العالمين.

التمهيد: التعريف بالتكامل السياقي

المطلب الأول: التكامل لغة:

التّكامل مصدر الفعل(تكامَل- يَتَكامَل)، أصله من الفعل(كَمُل- يَكْمُلُ)، ومعناه تَمّ[٣].

قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ): "الكاف والميم واللام أصل صحيح واحد يدلُّ على تمام الشيء، يقال كَمُلَ الشيءُ فهو كَامِلُ، أي: تام"[٤].

جاء في المفردات:" كمال الشيء: حصول ما فيه الغرض منه، فإذا قيل: كمُل ذلك، حصل ما هو الغرض منه، وقوله تعالى:﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾ [البقرة:٢٣٣]، تنبيهًا أنّ ذلك غاية ما يتعلق به صلاح الولد"[٥].

قال الجبل في المعنى المحوري ل(كمل): "يمكن أن تقول إنّه تمام جسم الشيء تجمُّعًا (من كم)... وكل ما جاء في القرآن من التركيب فهو من الكمال التمام"[٦].

دلّت التعريفات اللُّغوية لمعنى (كمُل) على أنَّه:

١- تمام الشيء بعد تجميعه.

٢- عند جمعه يكون ذلك غاية المراد.

المطلب الثاني: اصطلاحًا:

بداية أُبيّن أنّ مصطلح "التكامل السياقي" لم يعرفه المتقدمون، والمتأخرون، من مفسرين وغيرهم، وإن كانت تفاسيرهم لا تخلو من وجود دراسة تطبيقية لهذا المصطلح، كيف لا وهو من أحسن طرق التفسير التي يستعين بها المفسرون ألَا وهي تفسير القرآن بالقرآن.

والصلّة بين التكامل السياقيّ وتفسير القرآن بالقرآن صلة عموم وخصوص فكلُّ تكامل سياقي هو من تفسير القرآن بالقرآن لا العكس.

وإنّ هذا المصطلح من المصطلحات المعاصرة التي أفردها الباحث عبد الوهاب رشيد صالح في كتاب سمَّاه " التكامل السياقي دلالة وتفسير"، وكذا الأمر انسحب عليه فلم يعرف المصطلح، وانشغل في الدراسة التطبيقية، إلّا أنّه بيّن في تمهيده للكتاب غايته منه التي توضح بعضًا من مفهوم المصطلح فيقول: إنّ موضوع هذا الكتاب له غايتان:

الأولى: كونه منهجًا تفسيريًا على طريقة تفسير القرآن بالقرآن، ولكن ليس على غرار المتّبع لدى الطبري، وابن كثير، والشنقيطي، وغيرهم، بل هو منهج جديد، وفيه اجتهاد، من حيث أنّ الصلة بين الآية والأخرى التي ذُكرت معها، صلة تكميل وتوضيح، وقد يكون من جهة واحدة، أو من الجهتين؛ بمعنى أنّ كلًّا منهما يكمل نقصًا في الأخرى، أو توضّحُ مُبهمًا، أو تفصّيلُ مُجملًا، أو تُقيّدُ مُطلقًا، أو تُخصّصُ عامًا... وهكذا.

والثانية: الدلالة على الترابط العضوي دلالة إعجازية... وهذا الترابط والتناسب بين الآية والتي تكملها في مكان آخر في القرآن قرينة قوية قد ترتقي إلى درجة الدليل على أنّ مُنزّل هذه الآيات قد قصد هذا التوزيع ليكون القرآن مُفسرًا بعضه بعضًا(٧).

ولي أن أُعرفه بأنّه: **زيادة إيضاح معنى بجمع آيتين أو أكثر للوصول إلى فهم شمولي لهذا المعنى.**

المبحث الأول
بين يدي آيات نهاية السماء

المطلب الأول: آيات نهاية السماء.

ذكرت في القرآن الكريم اثنتا عشرة آية، أخبرت عن نهاية السماء، والأحوال التي ستحدث لها في يوم القيامة، وهي كالآتي على وفق ترتيب المصحف الشريف:

ت	السورة	رقم الآية	الآية
١.	الأنبياء	١٠٤	﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾
٢.	الفرقان	٢٥	﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾
٣.	الطور	٩	﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾
٤.	الرحمن	٣٧	﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾
٥.	الحاقة	١٦	﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾
٦.	المعارج	٨	﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾
٧.	المزمل	١٨	﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴾
٨.	المرسلات	٩	﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾
٩.	النبأ	١٩	﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾
١٠.	التكوير	١١	﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾
١١.	الانفطار	١	﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾
١٢.	الانشقاق	١	﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾

المطلب الثاني: بيان المكي والمدني منها وترتيبها على وفق نزولها

إنّ قراءة فاحصة في كتب التفسير، وعلوم القرآن نجد أنّ الآيات جميعها ذُكرت في سور مكية[٨]، وكان نزولها على وفق الترتيب الآتي:

ت	السورة	ترتيبها بحسب النزول
١.	المزمل	٣
٢.	التكوير	٧
٣.	المرسلات	٣٣
٤.	الفرقان	٤٢
٥.	الرحمن[٩]	٤٣
٦.	الأنبياء	٧٣
٧.	الطور	٧٦
٨.	الحاقة	٧٨
٩.	المعارج	٧٩
١٠.	النبأ	٨٠
١١.	الانفطار	٨٢
١٢.	الانشقاق[١٠]	٨٣

المطلب الثالث: ترتيب مراحل نهاية السماء.

إنّ الناظر في ترتيب هذه الآيات بحسب ترتيب المصحف يجد أنّ آية [الأنبياء/ ١٠٤] هي أوّل الآيات التي ذَكرتْ حالة من حالات نهاية السماء، وهي (طيّ السماء)، فهذه لا تصلح أن تكون أوّل حالاتها لأنّ طيَّ السماء يعني دخول بعضها في بعض، فلا مجال بعد ذلك، للانشقاق أو الانفطار أو الانفراج...إلخ.

نفهم من ذلك أنّ ترتيب الآيات لنهاية السماء بحسب ترتيب المصحف الشريف لا يُرشدنا إلى ترتيبها بحسب مراحلها يوم القيامة.

إذاً بقي لنا ترتيبها بحسب نزولها، إنّ قراءة دقيقة لهذا الترتيب الذي ذكرتُهُ في المطلب السابق، يُبين لنا أنّ:

حالة الانفطار ذُكرت في سورتين:

قال تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾ [المزمل/ ١٨].

قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾ [الانفطار/ ١].

وحالة الانشقاق ذكرت في أربع سور:

قال تعالى: ﴿ وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان/ ٢٥] .

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن/ ٣٧].

قال تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة/ ١٦].

قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴾ [الانشقاق/ ١].

لذا سنلحق آية الانفطار، بآية المزمل، ونحلق آية الرحمن، والحاقة، والانشقاق بآية الفرقان.

وسبب الإلحاق لأنَّهُنَّ أسبق بالنزول، ولكونهنَّ يتحدثن عن موضوع واحد، وحالة واحدةٍ للسماء، سواء أكان ذلك عند انفطارها، أم عند انشقاقها، وهذا ما سأوضحه عند توجيه الآيات ضمن مراحلها المتسلسلة.

إذاً أصبح الترتيب النهائي لمراحل السماء بحسب النزول والذي سأعتمد عليه في المبحث الثاني عند توجيه كلّ مرحلة كالآتي:

المرحلة	حالتها
المرحلة الأول	انفطارها
المرحلة الثانية	كشطها

المرحلة الثالثة	انفراجها
المرحلة الرابعة	انشقاقها
المرحلة الخامسة	طيّها
المرحلة السادسة	مورها
المرحلة السابعة	كائنة كالمهل
المرحلة الثامنة	انفتاحها، كائنة كالأبواب

المطلب الرابع: بيان المعنى العام المشترك بين الآيات

أولاً: إنّ ورود الآيات كلِّها في العهد المكي يدُلُّ على أن الخطاب بداية كان موجهاً إلى قريش في الأعمّ الأغلب، الذين كانوا في أَوْجِ عظمتِهم وتجبرهم وتكبرهم قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ ﴾ [محمد:١٣]، وكانوا أصحاب القدح المُعَلَّى في الفصاحة والبلاغة، لذا جاءت الآيات مناسبة للحالة التي كانت عليها قريش وقت ذاك فقد أخبرتهم عن أهوال يوم القيامة ومنها أحوال السماء، وبيّنت أنّ القوّة التي يمتلكونها لا تساوي شيئاً أمامَ قوَّةِ القويِّ وقدرته، فأنزل سبحانه هذه الآيات تترا طيلة العهد المكّيّ للبعثة المحمدية لتقرع أسماعهم وتحذرهم من عاقبة أمرهم، وأمر كلّ متكبر جبار، بألفاظٍ، وتراكيب، وأساليب تزلزل القلوب، فتارة يخبرهم بأن السماء تتشق، وتارة تنفطر وتارة... وهكذا كلما زاد طغيانُهم؛ أرسل سبحانه واحدة من أحوال السماء لتوقظهم من غفلتهم وتردّهم إلى رشدهم.

ثانياً: أخبرت الآيات عن أحوال يوم القيامة بالجملة الاسمية والفعلية، فقد جاءت أوّل حالات السماء بالجملة الاسمية قال تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ﴾ وسبب ذلك كما هو معلوم عند أهل البلاغة أنّ الجملة الاسمية آكد وأثبت من الجملة الفعلية[١١]، ولمّا كان هذا أول إخبار عن حالة السماء يوم القيامة، وهو انفطارها، احتِيج إلى توكيد هذا الخبر بالجملة الاسمية ليناسب حال المخاطبين الشاكّين

المترددين، أمّا الحالات الأخرى من الثانية إلى الثامنة (الأخيرة)، فقد جاءت بالجملة الفعلية لتدلّ على حدوث هذه الأفعال، وتكرارها في آياتٍ عديدة يؤكد وقوعها، وقد تنوعت الجملة الفعلية: تارة بصيغة المضارع الدال على الاستقبال(١٢)، وتارة بالماضي الدال على أنّ هذه الحقيقة واقعة لا محالة وهي ثابتة كالماضي الذي حصل وثبت(١٣).

ثالثاً: ورد التشبيه في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ وقوله ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ قوله ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ وقوله ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾.

"والتشبيه كغيره من أساليب القول وفنونه جيء به ليؤدي رسالة ذات أثر؛ ليحقق أغراضه النفسية والنفيسة المقصودة من علم البيان، فهو من هذه الناحية لا يقل عن الاستعارة، أو الكناية، بل نظنُ أن الأثر الذي يُحدثُهُ التشبيه في النفس ربما يزيد على ما يُحدثُهُ غيرُه من الأساليب؛ ذلك أن المجاز، والكناية، لا تدركها النفس بيسر وسهولة، أضف إلى ذلك أن التشبيه يمكن أن يكون أوسع دائرة من حيث الجمهور الذي يتأثر به ولأمر ما كثُرَ في كلام الله تعالى"(١٤). ومن ذلك هذه الآيات التي كما قلت جاءت لتوقظ قريشاً ومَن شابههم من غفلتهم، وتَرُدُّهم عن غيِّهم.

قال الزمخشري: "ولضرب الأمثال، واستحضار العلماء المُثُلَ والنظائر، شأن ليس بالخفيِّ في إبراز خبيئات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق حتى يريك المُتخيل في صورة المتحقق والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد"(١٥).

لذلك استعمل القرآن الكريم التشبيه؛ لإيصال المعنى المراد، ولاسيما أنّ هذا (المشبه) نهاية السماء يوم القيامة سوف يحدث مستقبلاً ولمرّة واحدةٍ، فلا مجال لإدراك صورتها إلّا عن طريق أسلوب التشبيه، إذ بمعرفة (المشبه به) الحاضر ومعرفة صفاته وخصائصه ثم معرفة الوجه الجامع بينهما، نستطيع أن نعرف المعنى المراد بالدّقة المطلوبة، وبالصورة التي ستحدث يوم ذاك، لذا لو مُلِئت الصفحات والمجلدات ما استطاعت أن تنقل الصورة والمعنى المراد كما ينقله ويُوصِّلُهُ أسلوب التشبيه.

رابعاً: ورد لفظ (اليوم)[١٦] في أغلب الآيات، وهو إشارة إلى يوم القيامة، أمّا الآيات التي لم يذكر فيها لفظ (اليوم) (أي: في الآية نفسها) فإنّا نلحظ ذكره: إمَّا في الآية التي قبلها، وإمّا في الآية التي بعدها، أو ذِكرُ ضمير فيها يعود على اليوم في الآية التي سبقتها، أو أنّها جاءت في سياق الآيات التي تخبر عن أحوال يوم القيامة، وهي كالآتي:

١. قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ ، لم يذكر فيها لفظ اليوم لكن ذكر في الآية التي بعدها، قال تعالى: ﴿ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُسۡـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٞ وَلَا جَآنّٞ ﴾[الرحمن:٣٩].

٢. قوله تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾ فقد ذُكِر الضمير في ﴿ بِهِۦ ﴾ و﴿ وَعۡدُهُۥ ﴾ اللّذان يعودان على اليوم[١٧] الذي ذكر في الآية التي قبلها قال تعالى: ﴿ فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴾[المزمل:١٧].

١. وقوله تعالى ﴿ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ﴾ فقد ذكر قبلها لفظ اليوم، قال تعالى: ﴿ إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ ﴾[النبأ:١٧-١٧].

٢. وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴾ فقد ذكر يوم القيامة قبلها، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴾ [المرسلات:٧]، وذكر اليوم بعدها قال تعالى: ﴿ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ ﴾[المرسلات:١٢-١٤].

٣. وقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ ﴾ وقوله ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ١ ﴾ ، وقوله ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ ﴾ ، فقد جاءت في سور تتحدث عن أهوال يوم القيامة.

إذن نخلص إلى حقيقة واحدة أنّ هذه الأحوال سوف لن تحدث إلّا في يوم القيامة، فلا يدّعي أحدٌ أنّ السماء فيها فروج، أو انشقاق أو...إلخ.

المبحث الثاني
مراحل نهاية السماء

المطلب الأول[١٨]: نهاية السماء [الانفطار]

ذكرت هذه المرحلة في آيتين:

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾ [المزمل: ١٨].

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ﴾ [الانفطار: ١].

الآية الأولى: ﴿ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴾

أولاً: الدلالة اللغوية:

قال الخليل: "وانفطر الثَّوبُ وتفطَّرَ، أي: انشقّ، وتَفَطَّرت الجبال: انصدعت وتفطرت يده، أي: تَشَقَّقَت"[١٩].

وقال ابن فارس: "الفاءُ والطَّاءُ، والرَّاءُ، أصْلٌ صحيحٌ يَدُلُّ على فَتحِ شيءٍ وإبرازه، من ذلك الفِطرُ من الصوم"[٢٠].

وقال الجوهري: "والفَطْرُ: الابتداءُ والاختراع، قال ابن عباس (ﷺ): ((كنت لا أدري ما فاطر السموات حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فَطَرْتُها))[٢١]، أي: أنا ابتدأتها"[٢٢].

قال الراغب: "أصْلُ الفَطْرِ: الشَّقُّ طُولاً"[٢٣].

والمعنى المحوري لـ(فطر) هو: "خروج الشيء أو نفاذه أوّل أمره شاقاً ما فوقه بضغط، أو بما له معناه كطلوع الناب"[٢٤].

دلّت التعريفات اللُّغوية لمعنى الفطر على أنَّه:

١. يكون في أشياءٍ متعددةٍ: كالثوبِ، والجبالِ، واليدِ.
٢. ذكر اللُّغويون معانٍ قريبة له: كالتشقق، والانصداع.
٣. يتخذ الشكل الطولي في الغالب
٤. خروج الشيء، أو نفاذه أوّل أمره بضغط أو بما له معناه.

ثانياً: أقوال السلف:

اختلفت أقوال السلف في تحديد المراد من قوله ﴿مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾.

قال ابن عباس: تشقَّق السماء حين ينزل الرحمن جلَّ وعزَّ، وعنه أيضا: مُمْتَلِئَةٌ به بلسان الحبشة.

وقال مجاهد، وعكرمة، وقتادة: مُثْقَلَةٌ به.

وقال الحسن: مُثْقَلَةٌ مَحْزُنَةٌ يوم القيامة، وعنه أيضاً: مُوَقَّرَةٌ مُثْقَلَةٌ.

وقال ابن زيد: هذا يوم القيامة فجعل الولدان شيبا، ويوم تنفطر السماء وقرأ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ فقال: هذا كلُّهُ يوم القيامة(٢٥).

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: السماءُ مُثْقَلَةٌ بذلك اليوم مُتَصدِّعةٌ مُتشقِّقةٌ"(٢٦).

قال الزمخشري: "يعني: أنّها تنفطر بشدّة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به، ويجوز أن يراد السماء مثقلة به إثقالاً يؤدي إلى انفطارها لعظمه عليها وخشيتها من وقوعه كقوله تعالى: ﴿ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الأعراف:١٨٧]"(٢٧).

الآية الثانية: قوله ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾

أولاً: الدلالة اللغوية:

ذكرت في الآية الأولى.

ثانياً: أقوال السلف:

ذكرت في الآية الأولى.

ثالثاً: أقوال المفسرين:

بيّن المفسرون المراد من قوله ﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ عقب قوله: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴾.

قال ابن عطية: "وانتثار الكواكب: سقوطها من مواضعها التي هي فيها كالنظام"[٢٨].

قال الرازي: "﴿ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴾ فالمعنى ظاهر؛ لأنّه عند انتقاض تركيب السماء لابُدَّ من انتثار الكواكب على الأرض"[٢٩].

توجيه الآيتين:

الآية الأولى: أخبرت عن الانفطار بالجملة الاسمية؛ وذلك لتأكيد الخبر، وثباته وتحققه؛ ولأنّها الآية الأولى التي نزلت وأخبرت قريشاً عن نهاية السماء فمثل هذا يحتاج إلى تأكيد لعظمه.

الآية الثانية: أخبرت عن الانفطار بالجملة الفعلية لتدل على حدوث ذلك الأمر، وجيء به بصيغة الماضي لتؤكد وقوعه وتحققه، فهو كالماضي في صحة وقوعه.

فهاتان الآيتان نزلتا في العهد المكي، وهدفهما تذكير مشركي قريش الذين طغوا وتجبروا، قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ﴾، أي: بأنّ هذا الكون سينقرض، وأنهم ملاقو ربهم، قال تعالى: ﴿ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴾.

ومعلوم عند العلماء أنّ الشيء إذا انفطر كالزجاج، أو الحجر، أو المعدن، أو البلاستك، أو النسيج، ستنفصل أجزاؤُهُ بعضها عن بعض بعد أن كانت مترابطة، فعند ذلك يمكن للمواد الغازية، أو السائلة، أو الإشعاعات أن تخرج من ذلك الفطر.

ودلّت الآية الثانية على أمرٍ آخرَ وقت وقوع الانفطار، وهو انتثار[٣٠] الكواكب بسبب حدوث ذلك الانفطار في بنية السماء الذي يؤدي إلى تخلخل هذه الكواكب وخروجها عن مسارها الذي كانت مستقرة فيه.

إذاً أوّلُ حالة لنهاية السماء هي الانفطار، وسبب الانفطار هو دخول يوم القيامة[٣١]، في حيّز التنفيذ، ويصاحبها انتثار الكواكب بشكل مفرقٍ.

المطلب الثاني: نهاية السماء [بالكشط]

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ [التكوير: ١١].

أولاً: الدلالة اللغوية:

قال الخليل: "الكشط رفعك شيئاً عن شيءٍ قد غطاه وغشيه من فوقه"(٣٢)

وقال ابن فارس: "الكافُ، والسِّينُ، والطَّاءُ، كَلِمةٌ تدُلُّ على تَنْحِيهِ الشَّيءِ وكَشْفِهِ يُقالُ: كشَطَ الجِلدَ عن الذَّبيحة"(٣٣).

دلّت التعريفات اللغوية على أنّ معنى الكشط هو: رفع شيءٍ، وتنحيته عن شيءٍ قد غطاه وغشيه.

ثانياً: أقوال السلف:

اختلفت أقوالهم في بيان معنى قوله (كشطت)

قال مجاهد: جُذبت.

وقال الضحاك: تنكشط فتذهب.

وقال السدي: كُشفت.

وقال يحيى: طويت كما قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ ﴾ (٣٤).

تنوعت أقوال السلف في بيان الكشط نحو: الجذب، والكشف، والطوي: وهي من باب التفسير بجزء المعنى، أو بلازمه.

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال مقاتل: كشطت: "عن من فيها لنزول الرب – تبارك وتعالى– والملائكة، ثم طويت"(٣٥).

وقال الفراء: "نُزعت، وطويت"(٣٦).

وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره: وإذا السماءُ نُزعت وجُذبت، ثم طويت"(٣٧).

وقال الزمخشري: "كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة، والغطاء عن الشيء"(٣٨).

وقال ابن عطية: "والقشط: التقشير، وذلك كما يكشط جلد الشاة حين تسلخ، وكشط السماء، هو طيُّها كطيِّ السجل"(٣٩).

وقال القرطبي: "الكشط: قَلْع عن شدّة التزاق"(٤٠).

جاءت تفسيرات المفسرين لمعنى الكشط المراد بالآية من باب التفسير بجزء المعنى، وبالمثال، وبلازمه.

توجيه الآية:

وردت هذه الآية ضمن المقطع الذي يخبر عن أهوال وأحوال ستحدث يوم القيامة، وسورة التكوير نزلت بعد سورة المزمل، وهي توضح الحالة الثانية لنهاية السماء، لكن كيف ستحدث؟

من المعلوم أنّ السماء فيها غازات متعددة، وأغبرة، وإشعاعات(٤١)، وأنّ السماء مانعة لها من الخروج منها؛ لأنّ سبحانه أحكم بنيانها فلا خلل فيها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [الملك:٣]، لذا لمّا انفطرت السماء، وأصبح فيها ذلك الخلل الذي أدّى إلى خروج تلك الغازات، أو الأغبرة، أو الإشعاعات، وربما كانت بدرجةِ حرارةٍ عاليةٍ جداً تساعد على خروجها، أو إنفاذها من ذلك الفطر.

فتولّد عند خروجها من طبقة السماء، واتّحادها مع عصر آخر تختثر عند محيط ذلك الفطر، وهذا الشيءُ المتختثر ليس من جنس السماء.

لذا بعد تعرضه لعوامل معينة تؤدي به إلى قلعه عن محيط ذلك الفطر الذي تختثر عليه(٤٢)، فتحدث عملية القشط بقوة لشدة التصاقه(٤٣) بطبقة السماء.

المطلب الثالث: نهاية السماء [الانفراج]

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ﴾ [المرسلات: ٩].

أولاً: الدلالة اللغوية:

قال الخليل: "وكلَّ فَرجة بَيْنَ شَيْئين، فَهو فرج"(٤٤).

وقال ابن فارس: "الفَاءُ، والرَّاءُ، والجيمُ، أصْلٌ صحِيحٌ يدُلُّ على تَفَتُّحٍ في الشيءِ، ومن ذلك الفُرجَةُ في الحائط وغَيرِه"(٤٥).

وقال الراغب: "الفَرْجُ والفُرْجةُ: الشّقُّ بَيْنَ الشيئين كفرجة الحائط... قال تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾ [ق:٦]، أي: شُقوق وفتوق، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ﴾ ، أي: انشقت"(٤٦).

والمعنى المحوري لـ(فرج) هو: "انفتاحٌ، أو متسع في أثناء جرم كثيف، أو بين أجرام كفرجة الباب والحائط"(٤٧).

دلّت التعريفات اللغوية لمعنى الفروج على أنّه: الشق، والفتق، والفتح في الشيء الكثيف، أو بين أجرام ملتصقة وملتحمة.

ثانياً: أقوال السلف:

تنوعت أقوال السلف في تحديد قوله ﴿ فُرِجَتۡ ﴾.

قال مجاهد: من شقوق.

وقال ابن زيد: المُتَبدِّئُ بعضه من بعض.

وقال ابن عيسى: فتوق.

وقيل: صدوع(٤٨).

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال ابن قتيبة: "اي: فتحت"(٤٩).

وقال ابن عطية: "و[فروح السماء] هو انفطارها حتى تحدث فيها الفروج"(٥٠).

وقال ابن كثير معقباً على أقوال السلف: "والمعنى متقارب"(٥١).

وقال ابن عاشور: "ومعنى فُرجت تفرّق ما كان مُلتحِماً من هيكلها: يُقال: فُرِج البابُ إذا فتحَهُ، والفرجةُ: الفتحةُ في الجدار ونحوه"(٥٢).

توجيه الآية:

بيّنت في المرحلة الثانية أنّ الانفطار يُولّدُ خروج الغازات وما شابهها، ثم يحدث له تخثر كائنٌ على محيط الفطر، ثم تتولّد عملية القشط والقلع لذلك الشيء المتخثر.

ثم تعقبها هذه المرحلة التي وردت في سورة المرسلات ضمن المقطع الذي يتحدث عن أحوال يوم القيامة، ومن ضمنها انفراج السماء، وهو نتيجة قلع الشيء المتخثر الذي بخروجه تفاعل مع طرفي الفطر والْتصَقَ عليهما، فلما قُلع وقُشِط ونُزِع بفعل قويٍّ أثّر في جانبي الفطر ممّا أدّى إلى قلع بعض أجزاء طرفي الفطر فتولّد توسع بين طرفي الفطر فأصبح منفرجاً.

فبذلك أصيبت السماءُ بخلل أخرَ فعّل عملية نهاية السماء، وهذا كلُّهُ في يوم القيامة؛ لأنّ السماء كانت قبل ذلك في أتمّ بناءٍ، وأبهى زينةٍ قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴾[ق:٦].

المطلب الرابع: نهاية السماء [الانشقاق]

ورد لفظ انشقاق السماء في أربع آيات:

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥].

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن: ٣٧].

قال تعالى: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٦].

قال تعالى: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ [الانشقاق: ١].

الآية الأولى: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾

أولاً: الدلالة اللغوية:

قال الخليل: "والشَّقُّ غير بائن، ولا نافذ، والصدع ربما يكون من وجه"(٥٣).

وقال ابن فارس: "الشِّينُ، والقَافُ، أصْلٌ واحدٌ صَحِيحٌ يدُلُّ على انْصِدَاعٍ في الشَّيءِ، ثم يُحْمَلُ عليه"(٥٤).

وقال الجوهري: "وهذا شقيق هذا، إذا انشق الشَّيءُ نصفين، فكلُّ واحدٍ منها شقيق الآخر"(٥٥).

وقال الراغب: "الشَّقُّ الخرْمُ الواقعُ في الشَّيءِ، يقال: شَقَقْتُهُ بنصفين... قال تعالى:﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ "(٥٦).

وقال ابن عاشور: "والتشقق: التفتح بين أجزاء مُلتئمة"(٥٧).

والمعنى المحوري لـ(شقّ) هو: "صدع الشيء الشديد صدعاً نافذاً إلى عمقه"(٥٨).

إنّ قراءة في هذه التعريفات تبيّن الآتي:

١. فَسَّروا الشق: بالصدع، والخرم، والتفتح.
٢. الشق يكون في الشّيءِ الواحد الملتئم.
٣. الشق أولاً يكون على نصفين، وقد يتشقق إلى أكثر من ذلك.
٤. نفاذ الشق إلى عمق الشيء مع شِدَّةٍ.

ثانياً: أقوال السلف

اختلف السلف في تحديد المراد من قوله ﴿بِٱلْغَمَٰمِ ﴾

قال ابن عباس: إنّ النبي (ﷺ) قال: **{إنّ من الغمام طاقات يأتي الله فيه محفوفاً}.**

وقال أبو العالية: في قوله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ [البقرة:٢١٠] يأتي الملائكة في ظللٌ من الغمام وهو كقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ٱلْمُلْكُ ﴾.

وقال مجاهد: هو الذي قال ﴿ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ قال: هو غيرُ السحاب ولم يكن قط إلا لبني إسرائيل في تِيههم(٥٩).

وقال ابن جريح: الغمام الذي يأتي الله فيه غمام زعموا في الجنّة(٦٠).

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال الطبري: "والغمام هو: ما غَمَّ السماء فألبسها من سحابٍ وقتامٍ وغير ذلك ممّا يَسْتُرُها عن أعيُن الناظرين، وكلُّ مُغطّى فإنّ العرب تُسميه مغموماً، وقد قيل: إن الغمام التي ظللها الله على بني إسرائيل لم تكن سحاباً"(٦١).

واختلف المفسرون في (الباء) من قوله ﴿بِٱلْغَمَٰمِ﴾ فقيل أنها:

١. بمعنى (عن) أي: تشقق عن الغمام يَحُفُّ بالملائكة.
٢. للسببية: أي: يكون غمام فيه قوة تتشق بها السماءُ لينزل الملائكة.
٣. للملابسة: تَشَقَّقُ مُلابسةً لغمام يظهر حينئذٍ(٦٢).

ورجّح الزمخشري القول الثاني والثالث فقال: "فإن قُلت: أيُّ فرقٍ بين قولك: انشقت الأرض بالنبات، وانشقت عن النبات؟ قلتُ: معنى انشقت به: أنّ الله شقها بطلوعه فانشقت به، ومعنى انشقت عنه: أنّ التربة ارتفعت عنه عند طلوعه، والمعنى أنّ السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكة ينزلون"(٦٣).

توجيه الآية:

بيّنت الآية أنّه في يوم القيامة تتشقق السماء، وجيء بفعل التشقق بصيغة المضارع الدال على الحدوث والتجدد والاستقبال، وهذا الانشقاق يكون بسبب ذلك الغمام الذي يوسع الانفراج الذي حصل في السماء إلى أن يُحدث الغمام تشققا شديداً، كلُّ ذلك بسبب ما يحمله من صفاتٍ تُصيّرُ الانفراج تشققاً.

ثم إنّ هذه العملية تستمر حتى تجعل كلَّ جزءٍ منشقٍ يتنحى عن الجزء الأخر، فيزداد ذلك التشقق إلى أن يصل إلى آخره – قد يكون نصفين– ويحدث هذا، والغمام محيط بذلك التشقق لكثرته وكثافته؛ ولأنّ هذا الغمام مراد في ذلك اليوم لنزول الله جلَّ وَعَلَا والملائكة.

الآية الثانية: قال تعالى: ﴿ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾

أولاً: الدلالة اللغوية:

ذكرت في الآية الأولى.

ثانياً: أقوال السلف:

تنوعت أقوال السلف في بيان المراد من قوله ﴿ وَرۡدَةٗ ﴾

فقيل: إنّها حمراء كلون الفرس، **وقيل:** تُغير لونها فإنها خضراء أو زرقاء، ويوم القيامة حمراء(٦٤).

وتنوعت الأقوال في بيان المراد من قوله ﴿كَٱلدِّهَانِ ﴾ (٦٥)

فقيل: إنّها صافية الحمرة مشرقة، أو وردة كالأديم الأحمر، أو خالصة(٦٦).

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال الطبري: "عُنِيَ به الدّهن في إشراق لونه؛ لأنّه ذلك هو المعروف في كلام العرب"(٦٧).

توجيه الآية:

في الآية تشبيهان:

الأول: شُبهت السماء بالورد أي: كانت كالوردة، وهو تشبيه بليغ، ووجه الشبه هو شدّة الحمرة، أي: يتغير لون السماء المعروف أنّه أزرق إلى البياض، فيصير أحمراً، أو قد يكون وجه الشبه كثرة الشقوق كأوراق الورد.

الثاني: تشبيه السماء بالدهن(٦٨)، وقد يكون وجه الشبه، اللمعان، أو الذوبان، أو الاشتعال، أو اللّيونة، أي: كل ما يختصّ به الدهن من صفاتٍ(٦٩).

الآية الثالثة: قال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٌ﴾ .

أولاً: الدلالة اللغوية:

قال الخليل: "وَهَيَ الحائط يهيء وهياً، أي: تفرز واسترخى، والثَّوْبُ والقربة ونحوها... وكذلك إذا استرخى رباط الشَّيءِ قلت: وهي"(٧٠).

وقال ابن فارس: "وَهَيَ: الواوُ، والهَاءُ، والحرْفُ المُعتَلُّ يَدُلُّ على اسْترخاءٍ في شيءٍ، يقال: وَهَت غَزَلِيُّ السُّحاب بمائِةِ، وكلُّ شيءٍ استرخى رباطُهُ، فهو واهٍ، والوَهْيُ: الشّقُّ في الأديم وغيره"(٧١).

والمعنى المحوري لـ(وهي) هو: "تَفَزُّز مادة الشيء، أو تَخرُّقها لذهاب غلظها ومتانتها"(٧٢).

دلّت التعريفات أعلاه على أنّ الوهي: يكون في ارتخاء الشيء وانحلاله بعد أن كان قائماً، أو كان مربوطاً برباطٍ قويٍّ ثابتٍ متماسكٍ.

ثانياً: أقوال السلف:

قال ابن عباس: "يعني: مُتمزِّقةٌ ضَعِيفةٌ"(٧٣)، **وعنه أيضاً:** "مُتَخَرِّقةٌ"(٧٤).

ثالثا: أقوال المفسرين

الوهي هو: أن تكون السماء متخرقة ممزقة ضعيفة، أو تفطرها وتميزُ بعضها من بعض وذلك الوهن الذي ينالها(٧٥).

قال الزمخشري: "(واهية) مسترخية ساقطة القوة جداً بعدما كانت محكمة متمسكة"(٧٦).

وقال ابن عاشور: "ويُستعار الوهي للسهولة وعدم المُمانعة، يقال: وهي عَزْمُهُ إذا تسامح وتساهل... وتقييده بـ(يومئذٍ) أنّ الوهي طرأ عليها بعد أن كانت صلبة متماسكة بتماسك أجزائها"(٧٧).

توجيه الآية:

نفهم من ذلك أنّ الوهي حالة تعقب الانشقاق فهي من لوازمه، وأنّ الانشقاق كان سبباً للوهي، والوهي هي حالة من الضعف تطرأ على الشيء القوي.

الآية الرابعة: قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾

أولاً: الدلالة اللغوية:

مضى معنى الانشقاق في الآية الأولى

ثانياً: اقوال السلف

تنوعت أقوالهم في بيان معنى قوله: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق:٢] (٧٨).

قال ابن عباس ومجاهد: سمعت لربّها وحُقَّت لطاعته.

وقال سعيد، وقتادة، وعبيدة: سمعت وأطاعت، وحق لها(٧٩).

ثالثاً: أقوال المفسرين.

قال الطبري: "يقول وسمعت السموات في تصدُّعها وتشقُّقها لربها، وأطاعت له في أمره إيَّاها"(٨٠).

وقال ابن كثير: "(وحُقَّت) أي: وحق لها أن تُطيع أمره لأنه العظيم الذي لا يمانع ولا يغالب"(٨١).

وقال ابن عاشور: "فهي محفوفة بأن تأذن لربِّها لا تخرج عن سُلطان قُدْرته وإن عَظُمَ سُمكُها واشتدَّ خلقُها"(٨٢).

توجيه الآية:

إذاً أخبرت آية الانشقاق عن هذا الانشقاق الذي أوقعته بنفسها، وهو استجابتها لأمر ربها.

يتحصل لنا من هذه المرحلة، أنّ السماء بعد أن انفرجت بدأت بالتشقق شيئاً فشيئاً؛ وذلك بفعل الغمام الذي شَقّها شقاً نافذاً إلى عمقها، وهو ملامس لطرفيها بسبب كثرته وكثافته، وأنّ هذا التشقق الذي يلامسه الغمام يصحبه نزول الرب سبحانه وملائكة، قال تعالى: ﴿ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[البقرة:٢١٠].

إنّ هذه الحالة لا يمكن: أن تعبر عنها الأسطر، أو الصفحات، إلّا أنّ مجيء التشبيه يوضح لنا صورة السماء يومئذٍ بأقل الألفاظ، وبأتمّ معنى، فهي عند انشقاقها كالوردة الحمراء الملتبسة بالدهن الذي يُليّنُها، وإلى أن يصل التشقق إلى غايته فتكون عند ذاك قد انحلّ رباطُها، فهي واهية ضعيفة وهذا كلّه استجابة لأمر ربها.

المطلب الخامس: نهاية السماء [طويها]

قال تعالى: ﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

أولاً: الدلالة اللغوية:

قال الخليل: "تقول طويت الصحيفة أطويها طيًّا، فالطّيّ: المصدر"(٨٣).

وقال ابن فارس: "الطّاءُ، والواوُ، والياءُ، أصْلٌ صحيحٌ يَدُلُّ على إدْراج شَيءٍ حتى يُدْرجَ بَعْضُهُ في بَعْضٍ، ثُمَّ يُحْمَلَ عَلَيه تَشْبيهاً، ويقال: طوى اللهُ عُمْرَ المَيِّتِ"(٨٤).

وقال الكفوي: "الطّيّ: هو ضدُّ النشر"(٨٥).

والمعنى المحوري لـ (طوي) هو: "ثَنْيُ الشيء، أو ردُّ بعضه على بعضٍ فيتضامُّ"(٨٦).

إنّ قراءة في هذه التعريفات يظهر الآتي:

١. الطيُّ خلاف النشر، أي: هو حالة تحدث على الشيءِ المنتشر.
٢. الطيُّ يكون في الشّيءِ القابل للطيِّ والثني، أي: لَيِّنًا.

٣. الطيُّ إدراج (إدخال) الشيء بعضه في بعض حتى يعود إلى ما كان عليه قبل انتشاره.

ثانياً: أقوال السلف:

قال قتادة: "كطيِّ الصحيفة فيها الكتاب".

وقال الحسن: "إنّ السماء إنّما تُطوى من أعلاها كما يطوي الكتابُ الصحيفة من أعلاها إذا كُتِبَ"(٨٧).

وقال ابن عباس: "كطيِّ الصحيفة على الكتاب"(٨٨).

واختلف السلف في تحديد معنى السجل فقيل هو:

١. اسم ملك من الملائكة.

١. هو الرجل، أو هو كاتب كان يكتب لرسول الله (ﷺ).

٢. الصحيفة(٨٩).

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال الطبري: "وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال السجل في هذا الموضع الصحيفة، لأنّ ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يعرف لنبيّنا (ﷺ) كاتب كان اسمه السجل، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه، فإن قال قائل: وكيف تُطوى الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة؛ قيل: ليس المعنى كذلك، وإنّما معناه: يوم نطوي السجل على ما فيه من الكتاب، ثم جعل نطوي مصدراً فقيل (كطي السجلِّ للكتاب) واللام في قوله (للكتاب) بمعنى على"(٩٠).

وقال ابن عاشور: "ولا يحسن حمله على معنى الصحيفة؛ لأنّه لا يُلائم إضافة الطّيّ إليه ولا إردافه لقوله للكتاب أو للكُتُب، وحملُهُ على الملكِ المتوكّلِ بصحائف الأعمال... فالوجه أن يراد بالسجل الكاتب الذي يكتُبُ الصّحيفة ثم يطويها عند انتهاءِ كتابتها، وذلك عمل معروف، فالتشبيه بعمله رشيق"(٩١).

وقال أيضاً: "الطيُّ: ردُّ بعض أجزاء الجسم اللَّيّن المَطلُوق على بعضه الآخر، وَضِدُّهُ النَّشْرُ "[٩٢].

توجيه الآية:

في هذه المرحلة تنتهي عملية اتساع الكون وانتشاره التي أشار إليها سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾ [الذاريات:٤٧]، وهي عملية خلاف النشر؛ لأنّ الشقَّ الذي حدث في المرحلة الرابعة السابقة الذي جعل السماء ضعيفة مدهنة، وقد انحل رباطهُا، كان سبباً في طوي السماء، وهو اندراج أجزاؤها بعضها في بعض حتى تعود إلى ما كانت عليه أوّل خلقها، فقال سبحانه في الآية نفسها ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥ ﴾.

قال الزمخشري: "﴿أَوَّلَ خَلۡقٖ ﴾ مفعول نعيد الذي يفسره ﴿نُّعِيدُهُۥ ﴾ ... والمعنى: نعيد أول الخلق كما بدأنا تشبيهاً للإعادة بالابتداء في تناول القدرة لهما على السواء، فإن قلت: وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه! قلت: أوّله إيجاده عن العدم فكما أُوجده أوّلا عن عدم يعيده ثانياً عن عدم"[٩٣].

وقال الرازي: "واختلفوا في كيفية الإعادة:

فمنهم من قال: إن الله تعالى يفرق أجزاء الأجسام ولا يعدمها ثم إنّه يُعيد تركيبها فذلك هو الإعادة.

ومنهم من قال: إنّه تعالى يُعدمُها بالكلية ثم يُوجدُها بعينها مرّة أُخرى وهذه الآية دلالة هذا الوجه لأنّه سبحانه شبه الإعادة بالابتداء ولما كان الابتداءُ ليس عبارة عن تركيب الأجزاء المتفرقة بل عن الوجود بعد عدم، وجب أن يكون الحال في الإعادة كذلك.

واحتج القائلون بالمذهب الأول بقوله ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾[الزمر:٦٧] فدلّ على أن السموات حال كونها مطوية تكون موجودة، وبقوله ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم:٤٨]، وهذا يدلُّ على أنّ أجزاء الأرض باقية لكنها جُعلت غير الأرض"[٩٤].

إذًا جاءت هذه الآية لتبين حالة من حالات السماء يوم القيامة، وتبين أنّ الابتداء والإعادة – أيًّا كانت من العدم أو إعادة تركيبها من أجزائها – عند الله سبحانه سِيَّانِ، لكن الإعادة التي أُرجحها في هذا السياق هي إعادة الأجزاء المتفرقة وتركيبها ويشهد لذلك ما ذكره أصحاب المذهب الأول، وقوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾[الروم:٢٧] فقوله ﴿ أَهْوَنُ ﴾ جاء بصيغة اسم التفضيل وموقعه موقع الكلام الموجه، فظاهره أنّ [أهون] مستعمل في معنى المفاضلة... فيما تعارفه الناس في مقدُراتِهم[٩٥].

خلاصة هذه المرحلة: أنّ السماء تبتدىء بالتطوي فيدخل أجزاؤها بعضها في بعض حتى تعود إلى أوّل خلقها الذي قد يكون بحجم الذرة أو حبة الرز أو... والله أعلم كيف كانت أوّل خلقها[٩٦].

ولرسم الصورة لهذه الحالة استعمال القرآن الكريم أسلوب التشبيه؛ لإيصال الصورة التي ستحدث فشبه طوي السماء بالكاتب الذي يطوي السجل – وفتح السجل دائما يكون في زاوية قدرها (١٨٠ درجة)– وبدأ ينشر الأحرف والكلمات والأسطر ويمضي في سردِ قِصَّته، أو موضوعه إلى أن ينتهي منها فيأخذ من أعلى طرف في السجل ليطويه على ما كتب ؛ لأنّ القصة قد انتهت، وهذه الطوية درجتها تقارب الصفر.وهكذا قصة الكون بدأت وتمددت وتوسعت وانتشرت وظلّت الملائكة تكتب وتسجل قصة الحياة الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها أي نهاية الحياة الدنيا ومن ذلك نهاية السماء.

المطلب السادس: نهاية السماء [مورها]

قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ ﴾ [الطور: ٩].

أولا: الدلالة اللغوية:

قال الخليل: "المَوْرُ: المَوْجُ، والمور: مصدر مار يمور، وهو الشّيء يَتَرَدَّدَ في عرضٍ كالدّاغِضة في الرُّكبة، والبعير يَمُوُر عَضُداه إذا تردّدا في عَرْض جنبيه، والطّعْنة تمورُ، إذا مالت يَميناً، أو شِمالاً"(٩٧).

وقال ابن فارس: "الميمُ، والواوُ، والرَّاءُ، أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على تَردُّدٍ، ومَار الدَّمُ على وَجْهِ الأرضِ يَمُورُ: انصبَّ وتَرَدَّدَ، وأَمَرْتُ دَمَهُ فَمَارَ"(٩٨).

وقال الراغب: "المَوْرُ: الجريانُ السَّريعُ، يُقالُ مَارَ يَمُورُ موْراً، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ "(٩٩).

والمعنى المحوري لـ (مور) هو: "تردُّد المادة المجتمعة في مكانها بتسيبها كتردد الداغصة والدِماء"(١٠٠).

تظهر التعريفات أعلاه أنّ المور هو: تردد الشيء المتجمع في عرضٍ، يميناً، أو شمالاً بصورة متموجةٍ.

ثانياً: أقوال السلف:

تنوعت أقوالهم في تحديد المراد من قوله تعالى: ﴿تَمُورُ ﴾.

قال ابن عباس: يوم تنشق السماء، وعنه أيضا: تحريكاً.

وقال مجاهد: تدور السماء دوراً.

وقال قتادة: تحريكها.

وقال الضحاك: استدارتها وتحريكها لأمر الله وموج بعضها في بعض.

وقال ابن زيد: وأما المورُ فلا علم لنا به(١٠١).

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال ابن عطية معقبا على أقوال السلف: "وهذه كلها تفاسير بالمعنى؛ لأنّ السماء العالية يعتريها هذا كلّه"(١٠٢).

وقال الزمخشري: "تضطرب وتجيء، وتذهب، وقيل المور تحرك في تموج وهو الشيء يتردد في عرض"(١٠٣).

وقال سيد قطب: "ومشهد السماء الثابتة المبنية بقوة، وهي تضطرب وتتقلب كما يضطرب الموج في البحر من هنا إلى هناك بلا قوام"(١٠٤).

وقال ابن عاشور: "والمورُ: التحرُّك باضطراب، ومَوْرُ السماء هو اضطراب أجسامها من الكواكب واختلال نظامها وذلك عند انقراض عالم الحياة الدنيا... وتأكيد فعل تمور بالمصدر موراً لرفع احتمال المجاز، أي: هو مورٌ حقيقي"(١٠٥).

توجيه الآية:

تجيءُ هذه المرحلة بعد أن طويت السماء وأُدرجت أجزاؤها، وهي الحالة التي تجعل السماء تضطرب؛ لأنّ في السماء غازات وأغبرة وإشعاعات وشحنات الكترونية أو... وغير ذلك ممّا تتكون منه السماء، كلُّ هذه إن وجدت جميعها، أو بعضها، والسماء مطوية، تولد تفاعل فيما بينها، قد يؤدي إلى انفجارات وارتفاع هائل في درجات حرارتها؛ فيؤثر في مكونات السماء، ويحولها إلى حالةٍ أخرى.

المطلب السابع: نهاية السماء [كالمهل]

قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ [المعارج: ٨].

أولاً: الدلالة اللغوية:

قال الخليل: "والمُهْلُ: دُرْدِيُّ الزَّيْت، قال تعالى: ﴿ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴾ [الدخان:٤٥]"(١٠٦).

وقال ابن فارس: "الميمُ، والهاءُ واللامُ، أصلان صحيحان، يَدُلُّ أحَدَهما: على توَدَةٍ، والآخرُ: جنس من الدَّائبات – وهو الذي يخص بحثنا– فهو خُثارَةُ الزَّيتِ، وقالوا: هو النُحاس الذَّائِبُ"(١٠٧).

والمعنى المحوري لـ (مهل) هو: "تسيبٌ وتميع لما هو في الأصل مادة متينة غير مشوبة"(١٠٨).

تظهر التعريفات اللُّغوية أنّ المهل هو: الشيءُ المتين الذي أُذيب سواء أكان نحاساً أم فضة أم دردي الزيت.

ثانياً: أقوال السلف:

تنوعت أقوالهم في تحديد المراد من قوله تعالى: ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾

قال ابن مسعود: "هو ما أزيد وانماع من الذهب والفضة".

وقال مجاهد: "هو القيح والدم الأسود كعكر الزيت يعني: دُرْدِيَّهُ

وقال ابن عباس: "أسود كهيئة الزَّيت، وعنه أيضاً: هو ماء غليظ مثل دُرديِّ الزَّيت".

وقال الضحاك: ماء جهنم أسود.

قال سعيد بن جبير: هو الذي انتهى حرُّهُ(١٠٩).

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال أبو عبيدة: "المهل: كلُّ شيءٍ أذبته من نحاسٍ أو رصاص ونحو ذلك فهو مهل"(١١٠).

وقال الطبري معقباً على أقوال السلف: "وهذه الأقوال وإن اختلفت بها ألفاظ قائِليها، فمُتقارباتُ المعنى؛ وذلك أنّ كُلَّ ما أُذِيبَ من رصاصٍ، أو ذهب أو فضة، فقد انتهى حَرُّهُ، وأنَّ ما أُقِدت عليه من ذلك النّار حتى صار كدُرديِّ الزَّيت، فقد انتهى أيضاً حرُّهُ... فالمهل إذاً هو كلُّ مائعٍ قد

أُوقد عليه حتى بلغ غاية حَرِّه، أو لم يكن مائعاً، فانماع بالوقود عليه، وبلغ أقصى الغاية في شِدَّةِ الحرِّ"(١١١).

توجيه الآية:

جاءت الآية في سياق بيان الأحوال التي ستحدث يوم القيامة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج:٦-٧]، ومن ضمنها نهاية السماء، وقد شبهت حالتها يوم ذاك بالمهل.

انتهينا في المرحلة السابقة (السادسة) إلى أنّ السماء تمور، وتموج، وتضطرب؛ وذلك بسب تفاعل مكوناتها التي أُدرجت وجمعت بعضها في بعض، والتي ولّدت انفجارات وحرارة عالية لا يعلمها إلا الله، التي سوف تؤثر وتحول مكونات السماء إلى مادةٍ مائعة سائلة ذائبة تشبه المهل.

المطلب الثامن: نهاية السماء [انفتاحها]

قال تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا﴾ [النبأ: ١٩].

أولاً: الدلالة اللغوية:

قال ابن فارس: "الفاءُ، والتَّاءُ، والحَاءُ، أصلٌ صحيحٌ يدُلُّ على خلاف الإغْلاق"(١١٢).

وقال الجوهري: "فتحت الباب فانفتح، وفَتَّحتُ الأبواب شدّد للكثرة، فَتَفَتَّحت هي، وبابُ فُتُحٌ، أي: واسع مفتوح"(١١٣).

وقال أيضاً: "البابُ يُجمع أبواباً"(١١٤).

وقال أبو هلال: "أن الفتح هو الفصل بين الشيئين ليظهر ما وراءهما ومنه فتح الباب"(١١٥).

وقال الراغب: "الفتح: إزالة الإغلاق والإشكال، وذلك ضربان:

أحدهما: يُدرك بالبصر كفتح الباب ونحوه، وكفتح القفل والغلق والمتاع، ونحو قوله: ﴿وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَٰعَهُمۡ﴾ [يوسف:٦٥]، وقوله:﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾[الحجر:١٤].

الثاني: "يُدرك بالبصيرة كفتح الهم، وهو إزالة الغَمِّ"(١١٦).

وقال أيضاً: "الباب: يقال لمدخل الشيء، وأصْلُ ذلك: مداخل الأمكنة، كباب المدينة، والدار، والبيت، وجمعه أبواب"(١١٧).

والمعنى المحوري لـ(بوب) هو: "انفتاح مع اتصال دائم: كما أنّ الباب فتحةٌ توصل إلى ما كان محجوباً وهي تتيح الاتصال دائماً"(١١٨).

تظهر التعريفات اللغوية الآتي:

١. إنّ الأبواب هي مدخل الشيء.
٢. إنّ الباب هو فاصل – حاجر– بين شيئين، وعند فتحه يظهر ما وراءه.
٣. إنّ الفتح هو إزالة الإغلاق، والاتصال الدائم مع الشيء الذي كان محجوباً.

ثانياً: أقوال السلف:

لم تشر كتب التفسير إلى أقوالهم في هذه الآية(١١٩).

ثالثاً: أقوال المفسرين:

قال الفراء: "مثل ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ ، و﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴾ فمعناه واحد والله أعلم، بذلك جاء التفسير"(١٢٠).

وقال الطبري: "يقول تعالى ذكره، وشُقّقت السماء فصدعت فكانت طرقاً، وكانت من قبل شداداً لا فطور فيها ولا صدوع، وقيل: معنى ذلك: وفتحت السماء فكانت قطعاً كقطع الخشب المُشققة لأبواب الدور والمساكن، قالوا: ومعنى الكلام: وفُتحت السماء فكانت قطعاً كالأبواب فلما أُسقطت الكاف صارت الأبواب الخبر، يُقال في الكلام: كان عبدُ الله أسداً يعني: كالأسد"(١٢١).

وقال الزمخشري: "والمعنى: كثرة أبوابها المفتحة لنزول الملائكة كأنّها ليست إلا أبواباً مفتحة، كقوله ﴿ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ [القمر:١٢]، كأنّ كلها عيون تتفجر، وقيل: الأبواب الطرق والمسالك، أي: تكشط فينفتح(١٢٢) مكانها وتصير طرقاً لا يسدّها شيء"(١٢٣).

توجيه الآية:

قبل التوجيه أبين أنّ السلف والمفسرين لم تزل تفسيراتهم لحالات السماء هي من التفسير بالمعنى القريب أي: التفسير بجزء المعنى، أو بالمثال أو بلازمه، وذلك نحو تفسيرهم الانفطار، والانفراج، بالانشقاق، وتفسيرهم الكشط بالطي وهكذا.

وردت هذه الآية ضمن المقطع[١٢٤] الذي يخبرنا عن أحوال يوم القيامة، وما سيحدث فيها، ومن ذلك فتح السماء.

والفتحُ عند أهل اللُّغةِ هو: إزالة الإغلاق، والاتصال الدائم.

نفهم من ذلك أن السماء فيها أبواب إلّا أنها مغلقة إلى يوم الفصل[١٢٥] .

إذاً هذه هي الحالة الأخيرة التي ستحدث للسماء وقت ذاك.

كُنتُ قد ذكرت في الحالة السابقة أنّ السماء أصبحت في حالة الذوبان شيئاً فشيئاً، أي: أنّ السماء ذلك الجسم الكبير الذي كان حاجزاً مغلقاً في وجه اختلاط أهل السماء والأرض قد انماع، وأصبحت السماء مفتوحة، وكأنّها كُلَّها أبوابٌ مفتحةٌ تُتخذ منها طرقاً موصلة بين أهل السماء والأرض.

قال ابن عاشور: "فقوله أبواباً تشبيه بليغ أي: كالأبواب وحينئذ لا يبقى حاجز بين سكان السموات وبين الناس كما قال تعالى: ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ ﴾ [المعارج:٤]"[١٢٦].

الخاتمة وأبرز النتائج

الحمدُ لله ربِّ العالمينِ، والصلاةُ والسلامُ على خاتمِ النَّبِيِّينَ محمدٍ (ﷺ)، وعلى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين.

وبعد...

فقد أظهر البحث النتائج الآتية:

١. إنّ نهاية السماء حقيقة ثابتة لا تقع إلّا في يوم القيامة، وهي عملية مقصودة؛ لأنّها جزءٌ مهم في دخول اليوم الآخر.

٢. انفطار السماء هو أوّل علامة في اختلالها، المؤدي إلى نهايتها وهي انفتاح أبوابها المغلقة – الآن– واجتماع أهل السماء، وأهل الأرض ليوم الحساب.

٣. انفطار السماء يعني أنّها صلبة؛ لأنّ الانفطار من خصائص الأشياء الصلبة.

٤. انشقاق السماء يعني أنّها كالنسيج، أو كالورق، أي أنّها تشابههما في الصفات، أو الخصائص.

٥. طوي السماء، يعني أنّها ليِّنة.

٦. تشبيه السماء بالمهل (أي الشيء المذاب) يؤكد حقيقة صلابتها

٧. انفتاح السماء يوم القيامة يؤكد أنّها مغلقة قبل ذلك.

٨. إنّ أسلوب جميع الآيات ذات الموضوع الواحد (التكامل السياقي)، ومن ثَمَّ النظر فيها وتحليلها يوصلنا إلى نتائج عدَّة لم تكن ظاهرة، وهي متفرقة، ولاسيما في مجال التفسير العلمي الذي يجعل للقرآن الكريم السبق والرّيادة في الكشف عن الحقائق العلمية.

٩. إنّ أسلوب التكامل السياقي يجعل من ذلك الحدث الهائل العظيم الغائب عن الأنظار صورة شاخصة أمام أنظارنا، أو يجعله مشهداً يُعرض أمامنا.

إذاً بعد هذا كلّه نستنتج: أنّ السماء تتكون من أجزاءٍ صلبة، أو باتّحاد أجزائها تصل إلى درجة الصلابة، وأنّها محبوكة كالنسيج القابل للإنشقاق، وفيها من المرونة واللّيونة ما يجعلها قابلة لِلطَّيِّ، وهي قابلة للذوبان؛ لأنّها مادة صلبة تذوب عند تعرضها لحرارة معينة، فإذا انماعت أجزاؤها فتحت أبوابُها، واتصل أهل السماء بأهل الأرض اتصالاً دائماً. والحمد لله رب العالمين في البدء والختام

الهوامش

(١) التفسير العلمي : هو "بيان معاني القرآن الكريم باستنباط مختلف العلوم الكونية والنفسية والعقلية، أو توظيف العلوم التطبيقية والبحثية والمعارف التجريبية الصحيحة بقدر الطاقة البشرية وفق القواعد الشرعية المقررة"، التفسير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم: ٦٢.

(٢) أسلوب المطابقة: هو أن تكون فيه الاكتشافات العلمية والمعارف الكونية معروفة وتكون مطابقة لما في الآيات القرآنية من الحقائق، فيقوم العلماء بإظهار العلاقة بين الكشوف العلمية وتلك الحقائق القرآنية ، وهو يمثل أكثر أعمال الإعجاز العلمي في الوقت الحاضر، وأسلوب التطبيق: هو أن تكون المعارف العلمية والاكتشافات الكونية التي تطابق ما في القرآن من الحقائق ما زالت مجهولة، ولم يتم اكتشافها بعد، فيقوم العلماء بالنظر في الإشارات والعبارات العلمية الواردة بالقرآن، والانطلاق منها نحو الدراسات العلمية والبحوث التجريبية، التي تقودهم إلى الاكتشافات، ينظر: تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية: ٦– ٨.

(٣)مختار الصحاح: ٢٧٣.

(٤)معجم المقاييس في اللغة: ٩٠٩.

(٥)المفردات: ٧٢٦.

(٦)المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن: ١٩٢٥.

(٧)ينظر: التكامل السياقي دلالة وتفسير:٥–٦.

(٨) ينظر: المحرر الوجيز: عند مطلع كل سورة، والبرهان في علوم القرآن: للزركشي: ١: ٢٥١، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ١: ٤٤٧، والإتقان في علوم القرآن: ١: ٣٦–٥٥.

(٩) اختلفت الروايات فيها فقيل: مكية، وقيل: مدنية، والصحيح أنّها مكية نزلت بعد سورة الفرقان، ينظر: تفصيل ذلك: تفسير مقاتل: ٤: ١٩٣، الناسخ والمنسوخ: لأبي جعفر النحاس: ٦٨٠، والمحرر الوجيز: ١٧٩٧، والجامع لأحكام القرآن: ١٧: ٩٩، والتحرير والتنوير: ٢٧: ٢٢٨، والتفسير الحديث: ٦: ٨٩.

(١٠) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١: ٢٥١، والإتقان في علوم القرآن: ١: ٣٦–٥٥، والتفسير الحديث: ١: ١٥.

(١١) الكشاف: ٨٤٠.

(١٢) ينظر: معاني النحو: ٣: ٢٨١

(١٣) ينظر: معاني النحو: ٣: ٢٧٢

(١٤) البلاغة فنونها وأفنانها (علم البيان والبديع): ١٧.

(١٥) الكشاف: ٥٠.

(١٦) قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ﴾ [الأنبياء/ ١٠٤]، وقوله: ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقوله: ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴾ [الطور/ ٩] ، وقوله: ﴿ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ [الحاقة/ ١٦]، وقوله: ﴿ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴾ [المعارج/ ٨] .

(١٧) ينظر: معاني القرآن: للفراء: ٣: ٩٤، والكشاف: ١١٥٢.

(١٨) اتّخذتُ منهجًا موحدًا في دراسة كلّ مرحلة ، أبدأُ بذكر آية البحث ، ثم أبينُ الدلالة اللغوية، ثم أقوال السلف، ثم أتبعها بأقوال المفسرين، ومن ثَمَّ أقوم بتوجيهها.

(١٩) كتاب العين: ٧: ٤١٨.

(٢٠) معجم المقاييس في اللغة: ٨٤٩.

(٢١) جامع البيان: ٩: ١٧٥.

(٢٢) الصحاح: ٨٩٣.

(٢٣) المفردات: ٦٤٠.

(٢٤) المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن: ١٦٨٩.

(٢٥) ينظر: جامع البيان: ٢٣: ٣٨٩-٣٩١، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٠: ٣٣٨١، الأحاديث (١٩٠٢٤، ١٩٠٢٥، ١٩٠٢٦)، والنكت والعيون: ٦: ١٣١.

(٢٦) جامع البيان: ٢٣: ٣٨٩.

(٢٧) الكشاف: ١١٥٢، وينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠: ٦٩٣.

(٢٨) المحرر الوجيز: ١٩٥٤.

(٢٩) مفاتيح الغيب: ٣١: ٧٢.

(٣٠) قال ابن فارس: النثرُ: هو إلقاءُ الشيء متفرّق، ينظر: معجم المقاييس في اللغة: ١٠١١، وقال الراغب:: نثرُ الشيء نشره وتفريقه، ينظر: المفردات: ٧٩٠.

(٣١) وقد يكون الانفطار بسبب النجم الثاقب (والله أعلم) أي: الطارق، قال تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ ﴾ [الطارق ١-٣]، والطارق: النجم؛ لأنه يطلع بالليل، ووصف بالثاقب؛ لأنه مضيء، ولارتفاعه في أعلى السماء، ينظر: معاني القرآن: للفراء: ٣: ١٤٣، "وأصل الطرق: الدّقُ، ومنه سميت المطرقة"، ينظر: تفسير أبي السعود: ٦: ٤٠٩، نفهم من ذلك (والله أعلم) أنّ هذا النجم الطارق سيطرق السماء في ليلة ظلماء، أو أنه في مكان مظلم في السماء وفي يوم القيامة تحدث فيه طاقة يصدر بموجبها ضوء يثقب السماء، قال الراغب: الثاقب: المُضيء الذي يثقب بنوره وإضاءته ما يقع عليه"، المفردات: ١٧٣، وقال النابلسي: "أن هذا النجم ضوءه شديد ثاقب يخترق طبقات الجوّ" ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: ٢: ١٩، أي: أن هذا الضوءَ الثاقب الطارق يولد

الانفطار في السماء.

(٣٢) كتاب العين: ٥: ٢٨٩.

(٣٣) معجم المقاييس في اللغة: ٩٢٨، وينظر: المفردات: ٧١٢، وأساس البلاغة: ٥٤٧.

(٣٤) ينظر: النكت والعيون: ٦: ٢١٥، والجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١٥٣، وتفسير ابن كثير: ٤: ٤٤٦.

(٣٥) تفسير مقاتل: ٤: ٦٠٢.

(٣٦) معاني القرآن: ٣/١٣٠.

(٣٧) جامع البيان: ٢٤/١٤٩.

(٣٨) الكشاف: ١١٨٣.

(٣٩) المحرر الوجيز: ١٩٥٢.

(٤٠) الجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١٥٣.

(٤١) قال زغلول النجار: "وإلى سنواتٍ قريبةٍ، لم يكن في علم أحدٍ من الناس أن السماء – على اتساعها– ليست فراغاً، ولكنها مليئة بالمادة على هيئة رقيقة للغاية، تشكلها غازات مخلخلة، يغلب على تركيبها غازا الهيدروجين والهليوم، وقليل من الأوكسجين، والنتروجين، وبخار الماء، والنيون، مع انتشار هائل للإشعاعات الكونية بمختلف صورها" ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة: يوسف الحاج: ٣٤٥.

(٤٢) استنبطت هذا المعنى من المشاهدة التي غالباً ما نراها، وتحدث لنا، وهي انفطار البيضة عند وضعها في الماء المغلي، وخروج الزلال منها، وتخثره عند مكان الانفطار، وكذلك إذا جُرح أحدنا، وخرج الدّم، تخثر على مكان الجرح.

(٤٣) فُهِم هذا المعنى أي الكشط بقوة وشدة ؛ لأنّ كشط جلد البعير أشد من سلَخ الشاة لأنّ جلد البعير ألصق بلحمه، لذا اختار القرآن الكريم لفظ الكشط لتكون الصورة واضحة لنا عن حالها يوم ذاك، قال الجوهري: وكشط البعير كشطاً، نزعتُ جلده، ولا يقال: سلختُ ؛ لأنَّ العرب لا تقول في البعير إلا كشطته ، أو جلدته " ينظر: الصحاح : ١٠٠٠.

(٤٤) كتاب العين: ٦: ١٠٩.

(٤٥) معجم المقاييس: ٨٤٥.

(٤٦) المفردات: ٦٢٨.

(٤٧) المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم: ١٦٥٢.

(٤٨) ينظر: جامع البيان: ٢١: ٤٠٨–٤٠٩، والنكت والعيون: ٥: ٣٤١، وتفسير ابن كثير: ٤: ٢٠٣.

(٤٩) غريب القرآن: ٥٠٥، وينظر: الكشاف: ١١٦٩.

(٥٠) المحرر الوجيز: ١٩٣٤، أشار (رحمه الله) إلى ترتيب بعض من أحوال نهاية السماء يوم القيامة.

(٥١) تفسير ابن كثير: ٤: ٢٠٣.

[٥٢] التحرير والتنوير: ٢٩: ٢٢٤.

[٥٣] كتاب العين: ٧٥.

[٥٤] معجم المقاييس في اللغة: ٥١٩.

[٥٥] الصحاح: ٦٠٧، وينظر: لسان العرب: ١٠/١٨١ مادة (شقّ).

[٥٦] المفردات: ٤٥٩.

[٥٧] التحرير والتنوير: ١٩: ٩.

[٥٨] المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن: ١١٥٦.

[٥٩] يُشير إلى قوله تعالى ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧].

[٦٠] ينظر: جامع البيان: ٣: ٦٠٥-٦٠٨، ١٧: ٤٣٧.

[٦١] المصدر السابق: ١: ٦٩٨.

[٦٢] ينظر: الكشاف: ٧٤٤، والدر المصون في علوم الكتاب المكنون: ٨: ٤٧٦، والتحرير والتنوير: ١٩: ١٠.

[٦٣] الكشاف: ٧٤٤، وحقق المسألة الدكتور فاضل السامرائي: فذكر أن البصريين أنكروا أن يراد (بالباء) (عن) ثم فصل القول في ذلك، ينظر: معاني النحو: ٣: ١٩-٢٢.

[٦٤] ينظر: جامع البيان: ٢٢: ٢٢٦-٢٢٩.

[٦٥] الدهن في المصطلحات الحديثة يراد به: ١- مادة زيتية دسمة في الحيوان والنبات جامدة في درجة الحرارة العادية، فإذا سالت كانت زيتاً... ٢- إفراز شبيه مائع تفرزه الغدد الدهنية في أدمة الجلد ويتألف بشكل رئيسي من الدهن والبروتين اللّيفي ومواد خلويّة، ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ١: ٧٧٩.

[٦٦] ينظر: جامع البيان: ٢٢: ٢٢٩.

[٦٧] المصدر نفسه.

[٦٨] والمعنى المحوري لـ(الدهن) هو: "مائع ذو لزوجة وأثر قوي ينشأ في مصدره بقلة أو عسر ويليَّن به، كما لا ينفذ الزيت من الزيتون إلا باعتصار شديد" ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن: ٦٩٢.

[٦٩] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٧: ٢٦٢، والبلاغة فنونها وأفنانها: ٢: ١٠٥.

[٧٠] كتاب العين: ٤: ١٠٥.

[٧١] معجم المقاييس في اللغة: ١١٠٦، وينظر: المفردات: ٨٨٧.

[٧٢] المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن: ٢٢٧٦.

(٧٣) جامع البيان: ٢٣: ٢٢٥، وينظر: النكت والعيون: ٦: ٨١.

(٧٤) تفسير ابن أبي حاتم: ١٠: ٣٣٧٠، الحديث (١٨٩٦٤)، وينظر: النكت والعيون: ٦: ٨١، والدر المنثور: ٨: ٢٦٩.

(٧٥) ينظر: جامع البيان: ٢٣: ٢٢٥، والمحرر الوجيز: ١٨٩٢، والنكت والعيون: ٦: ٨١.

(٧٦) الكشاف: ١١٣٥، وينظر: مفاتيح الغيب: ٣٠: ٦٢٥.

(٧٧) التحرير والتنوير: ٢٩: ١٢٧.

(٧٨) وجّهتُها؛ لتعلقها في بيان كيفية انشقاق السماء.

(٧٩) ينظر: جامع البيان: ٢٤: ٢٣١-٢٣٢

(٨٠) المصدر السابق: ٢٤: ٢٣٠.

(٨١) تفسير ابن كثير: ٤: ٢٥٧.

(٨٢) التحرير والتنوير: ٣٠: ٢١٩.

(٨٣) كتاب العين: ٧: ٤٦٥، ينظر: القاموس المحيط: ١٣٠٨.

(٨٤) معجم المقاييس في اللغة: ٦٢٧، وينظر: المفردات: ٥٣٣،

(٨٥) الكليات: ٥٨٥.

(٨٦) المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن: ١٣٠٤.

(٨٧) ينظر: تفسير يحيى بن سلام: ١: ٣٤٩.

(٨٨) ينظر: جامع البيان: ١٦: ٤٢٤.

(٨٩) ينظر: جامع البيان: ١٦: ٣٢٤-٤٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم: ٨: ٢٤٧٠، الحديثين (١٣٧٥٣) (١٣٧٥٤).

(٩٠) جامع البيان: ١٦: ٤٢٦، وينظر: تفسير ابن كثير: ٣: ١٨٨.

(٩١) التحرير والتنوير: ١٧: ١٥٩.

(٩٢) المصدر نفسه.

(٩٣) الكشاف: ٦٨٧.

(٩٤) مفاتيح الغيب: ٢٢: ١٩١-١٩٢.

(٩٥) ينظر: التحرير والتنوير: ٢١: ٨٣.

(٩٦) جاء في موسوعة الإعجاز العلمي: يوسف الحاج: "فبعد تمدد الكون واتساعه... يعود هذا الشيء الذي كبر واتسع إلى ما كان عليه... ترى نجومه في اقتراب مستمر، وترى مجرّاته تنضغط، وتكبس ويصغر حجمها... إلى نُقَطٍ لا نهائية الكثافة، ودرجة الحرارة، أو إلى شيءٍ آخر لا يعلمه إلّا هو: ٤٠٢.

(٩٧) كتاب العين: ٨: ٢٩٢، وينظر: أساس البلاغة: ٦٠٩.

[٩٨] معجم المقاييس في اللغة: ٩٦٩، وينظر: الصحاح: ١١٠٤.
[٩٩] المفردات: ٧٨٣.
[١٠٠] المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن: ٢٠٥٤.
[١٠١] ينظر: جامع البيان: ٢١: ٥٧٢-٥٧٣.
[١٠٢] المحرر الوجيز: ١٧٧١.
[١٠٣] الكشاف: ١٠٥٥.
[١٠٤] في ظلال القرآن: ٦: ٣٣٩٤.
[١٠٥] التحرير والتنوير: ٢٧: ٤٢.
[١٠٦] كتاب العين: ١: ٧٨١، وينظر: المفردات: ٧٨١، والصحاح: ١١٠٣.
[١٠٧] معجم المقاييس في اللغة: ٩٦٨.
[١٠٨] المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم: ٢١٣٣.
[١٠٩] ينظر: جامع البيان: ١٥: ٢٤٨-٢٥٠، والمحرر الوجيز: ١١٩٠.
[١١٠] مجاز القرآن: ١٥٢.
[١١١] جامع البيان: ١٥: ٢٥٠، وينظر: الكشاف: ٦١٩.
[١١٢] معجم المقاييس في اللغة: ٨٣٤.
[١١٣] الصحاح: ٨٦٩.
[١١٤] المصدر السابق: ١٢٠.
[١١٥] الفروق اللغوية: ١٦٩.
[١١٦] المفردات: ٦٢١.
[١١٧] المصدر السابق: ١٥٠.
[١١٨] المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم: ٤٩.
[١١٩] ربّما ذكرت في آيات سبقتها لم نهتدِ إليها .
[١٢٠] معاني القرآن: ٣: ١١٧.
[١٢١] جامع البيان: ٢٤: ١٩.
[١٢٢] هنا يحاول الزمخشري (رحمه الله) ترتيب مراحل نهاية السماء.
[١٢٣] الكشاف: ١١٧٣، وينظر: تفصيل ذلك في: مفاتيح الغيب: ٣١: ١٣، والجامع لأحكام القرآن: ١٩: ١١٥.
[١٢٤] قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ۝١٧ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ۝١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ

فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النبأ: ١٧-٢٠].

(١٢٥) ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴾ [الحجر : ١٤]، وقوله ﴿ لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ ﴾ [الأعراف:٤٠]، أي : هناك أبواب في السماء إلّا أنّها لا تفتح إلّا للملائكة ولجبريل، أو للرسول قال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: ٤]، أي: أنّ الأبواب موجودة لكنّها لا تفتح إلّا بعد إذنه تعالى، وعليها حرسٌ شِداد ويدلّ على ذلك ما جاء في حديث الإسراء والمعراج: أنّ رسول الله (ﷺ) قال: {... ثُمّ عَرَجَ – أي جبريل– بِنَا إلى السَّمَاءِ، فاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيل مَنْ أنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيْلَ: مَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. قِيْلَ: وَقَدْ بُعِثَ إلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا ...الحديث}، صحيح مسلم: باب الإسراء برسول الله (ﷺ) إلى السموات وفرض الصلوات: ٨٨، رقم الحديث (١٦٢).

(١٢٦) التحرير والتنوير: ٣٠: ٣٢.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. الإتقان في علوم القرآن: لعبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، حققه: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
٢. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (تفسير أبي السعود): لأبي السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي (ت٩٨٢هـ)، تحقيق: عبداللطيف عبدالرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
٣. أساس البلاغة: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار صادر، بيروت – لبنان، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٤. البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الفكر، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.
٥. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.
٦. البلاغة فنونها وأفنانها: د. فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان – الأردن، ط/٩، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
٧. التحرير: محمد الطاهر بن عاشور: الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
٨. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير): لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد شراد الناصري، دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.
٩. تفسير القرآن العظيم: لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد المعروف بابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة مصطفى الباز، ط/٣، المملكة العربية السعودية، ١٤١٩هـ
١٠. تفسير غريب القرآن: لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة (ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، المكتبة العلميّة، بيروت – لبنان، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
١١. تفسير مقاتل: لأبي الحسن مقاتل بن سليمان البلخي (ت١٥٠هـ)، تحقيق: عبدالله محمود شحاته، دار إحياء التراث، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ.
١٢. التفسير والإعجاز العلمي في القرآن (ضوابط وتطبيقات): مرهف عبدالجبار سقا، دار محمد الأمين للطباعة والنشر، دمشق – سوريا، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
١٣. تفسير يحيى بن سلام: ليحيى بن سلام بن أبي ثعلبة التيمي بالولاء البصري ثم الإفريقي القيرواني (ت٢٠٠هـ)، تحقيق: د. هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٤. التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب النزول): لمحمد عزت دروزة، دار إحياء التراث العربي، القاهرة – مصر، ١٣٨٣هـ.
١٥. تقويم الأعمال التي تناولت الإعجاز العلمي والطبي في السنة النبوية: أحمد أبو الوفا عبد الآخر، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف في المدينة المنورة، د.ت.
١٦. التكامل السياقي (دلالة وتفسير): دار عمار، عمان – الأردن، عبدالوهاب رشيد صالح أبو حنيفة، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
١٧. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لمحمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، تحقيق: د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر للطباعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
١٨. الجامع لأحكام القرآن: لأبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (ت٦٧١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٩. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبدالدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق – سوريا، د.ت.
٢٠. الدر المنثور: لعبدالرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، د.ت.
٢١. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٨هـ)، تحقيق: محمد محمد تامر، وآخرين، دار الحديث، القاهرة – مصر، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٢٢. الفروق اللغوية: لأبي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري (ت٤٠٠هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٩م.
٢٣. في ظلال القرآن: سيد قطب، دار الشروق، مصر – القاهرة، ط/٣٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
٢٤. القاموس المحيط: لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط/٨، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٢٥. كتاب العين: لأبي عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو الفراهيدي (ت١٧٠هـ)، تحقيق: د.مهدي المخزومي، د.إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.
٢٦. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٢٧. الكليات: لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت – لبنان، ط/٢، ١٤١٩هـ- ١٩٩٨م.
٢٨. لسان العرب: لمحمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي (ت٧١١هـ)، دار صادر، بيروت – لبنان، ط/٣، ١٤١٤هـ.
٢٩. مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١١هـ)، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
٣٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت٥٤١هـ)، دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣١. مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي(ت٦٦٦ه)، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط/٥، ١٤٢٠ه-١٩٩٩م.
٣٢. معاني القرآن: لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت٢٠٧هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
٣٣. معاني النحو: د.فاضل صالح السامرائي، دار الفكر، عمان – الأردن، ط/٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٣٤. المعجم الاشتقاقي المؤصّل لألفاظ القرآن الكريم: لمحمد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة – مصر، ٢٠١٠م.
٣٥. معجم اللغة العربية المعاصرة: د.أحمد مختار عبدالحميد عمر (ت١٤٢٤هـ)، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة – مصر، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٣٦. معجم المقاييس في اللغة: لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت – لبنان، د.ت.
٣٧. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير): لأبي عبدالله محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٢٠هـ.
٣٨. مفردات ألفاظ القرآن: للحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى في حدود ٤٢٥هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط/٣، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٣٩. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة: يوسف الحاج أحمد، مكتبة ابن حجر، دمشق – سوريا، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٤٠. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة: محمد راتب النابلسي، دار المكتبي، دمشق، سوريا، ط/٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٤١. الناسخ والمنسوخ: لأبي جعفر النحاس (ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. محمد عبدالسلام محمد، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
٤٢. النكت والعيون: لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الشهير بـ(الماوردي) (ت٤٥٠هـ)، تحقيق: السيد ابن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، د.ت.

Abstract

The contextual Qur'anic integration to the end of the sky

A study in the scientific interpretation

Praise be to Allah, peace and blessings be upon the Prophet Muhammad , his family and companions .

This is a specializing study to show the conditions of the end of the sky step by step and to draw its final picture through the Qur'anic facts. Through this contextual integration of the verses of the end of sky and by arranging them (the verses) intentionally , to guide us to the right way in order to know the whole picture in the doomsday according to the scientific interpretation.

The importance of research:

–Knowing the arrangement of the steps of the end of the sky from the beginning to the end. This has been clearly shown in different verses of the Holly Quran and each case has been dealt with in a single sura to coordinate with the purposes and the themes of that sura.

–Transfering by the scientific interpretation of the Holly Quran to the "scientific prodigy", and from the identical style to the practical one which makes the pioneering role for the Holly Quran from the beginning to the end.

The divisions of the search:

This research has been divided into: an introduction, preface, two sections and a conclusion.

–The introduction has dealt with the definition and explaining the meaning of the contextual integration.

–The preface has mentioned the divisions of the research and its importance.

–Section one: has dealt with the verses of the end of the sky, and included four issues.

–Section two: It has been specialized to the end of the sky stages, and included eight issues.

–The conclusion: It includes the results of th